العدد 1880 - السنة السابعة
الجمعة 8 شعبان 1436 - الموافق 6 يونيو 2014
Friday 6 June 2014 - No.1880 - 7th Year

راعي ثليم

هذا الوطن شامخ ولا يلحقه ضيم
نموت دونه ما يدنّس ترابه
دونه مداغيش العيال الشغاميم
خراب دار اللي يدّور خر ابه
من دون حدّه مانعرف المفاهيم
نجهل ولو نملك عقول وخطابه
صحيح دون مقدساته مواليم
والله مشرفنا بمكة وطابه
لكن «وطنا عرضنا» مابعد سيم
كلّه مقدّس من سماه لرحابه
فضله علينا مايقابل بتحجيم
مايجحد المعروف رجلٍ نِشابه
حتى الغريب اللي على خدّه مقيم
يدين له بالفضل لانّه سعابه
يكنّ له حب ومعزه وتعظيم
ومن الوفا مااباع به واشترى به
ياظالمٍ نفسك وفي غيّك تهيم
فعلك سؤالٍ ما لقينا جوابه
وشلون وانت ابن الوطن، والوطن ديم
قد علّ عودك لين مازهر شبابه
بدال ماتهديه مجدٍ وتكريم
تجزيه بالنكران.. يا للغرابة
اليوم عقلك فيه خفّه وتعتيم
وأبعدت عن نهج النبي والصحابة
وسلكت درب اهل القلوب المجاهيم
حتى انهم جرّوك صوب الخرابة
طاعة ولّيّ الأمر عُرف وتعاليم
والله مقدّرها بمحكم كتابه
وشلون من للدين صاروا مقاديم
«ال السعود» اهل الشرف والمهابة
لهم الوفا منا علّيّ الملازيم
وإنّا لهم وقت الشدايد عصابة
عهدٍ عطوه جدودنا راعي« ثليم»
ما دامنا حيّين حنا زهابه
واللي تعب صوته وهو يرّقب الغيم
يبي يموت ولا درت به سحابه

نهار بن ممدوح

بروفة حياة:

«سامحت بيك الزمن»

وهكذا كان... في زمن الفقد

هذا الزمن الذي أدركتُ ساعةَ أُطلّتْ، وما بيني وبيني فضاءات من غيم، وجليد، وفقد. أتشظّى وحدةً وقشعريرة، أشبه ما أكون بالطائر العطش البردان، أدركتُ أنها ضربت موعداً للصبحَ على عتباتي، وأن الزمن تغافلني وترك بابه مواربا لطائر الفينيق ينطلق من الرماد، مُرمماً انكسارات الثقة المتعاقبة على قلب لم يعرف سوى البياض، في محطات عمر لا تُشبهه، ولم تحتفظ بها ذاكرته.

قلب بلا ضفاف.. استبدل كوابيه بالعمل، ولم يبرح خاطره: متى أرحل لذاك الغياب الذي رحل إليه الأقربون ؟ ولم يعرف حتى اللحظة مدية السؤال: الحميمون..كيييف باعوا!! فاستدار بكبرياء ممعنا في الغياب، واعيا أن بعض الأسئلة إجابتها دماء، بينما العمر يعدو، لا وقت لأي شيء، ولا وقت حتى.. للبكاء.

تطامن الآسى، وتطاول عباد الشمس بين وجعي وسنابل عمري، وأنا أطوي الحياة وتطويني.. على قلق ودون هواده، يُهجّسُ قلبي: إنطفاااء.... وبيدها الصغيرة تخط: شرووق.لم يدر في خلدي أن طوق النجاة هي طفلتي البهيّة منار..التي اغتابتني الدنيا بمقدمها وفكت ضفائرها. منار التي لا تعرف سوى المُضي في الضياء، والتي فردت أجنحتها ناثرة الماء.. علي يابستي.

ما أمارسه الآن هو «مونتاج»، وفاءً لضوء تغافلَ خيباتي وعَبر، ولزمن سيظلُ لي فيهِ انتماءُ حقيقي، وحُلم... وصَلاة. مذ كانتَ في الثانية،ما أن تسمع صوت الباب حتى تتراكض أقدامها على الدرجات فاتحة ذراعيها في احتضان يفيض من نبرات صوتها محملاً بمطر من أغنيات وبلل وربيع: ماماااااااا

لمّ تكمل الرابعة بعد، لكنها صاحبة رأي، تتشارك ملامحها ويديها في التعبير بيقين لا يتسرب إليه الشك.وحين أدعوها لخفض صوتها، تتوارى فلا ألمح منها سوى انحناءة ظهرها وأطراف أصابع قدميها مقلدة مشية « بينك بانثر Pink Panther »، أحبس ضحكتي وأنا أضع سبابتي على شفتي: « أصصص «.. خشية أن تفاجئني وتسترق النظر إليّ كعادتها!

غبت وأخيها يومين، تلقفتنا فيها حوائط المستشفى الباردة كحوائط الدنيا، بل ربما كانت أكثر دفئا من قلوب توهمناها ملاجيء لنا فخذلتنا.

أطبقت الوحشة على صدورنا ونحن نتأمل المرضى وعيونهم مزيج من الوجع والامتعاض، فكانت عيون الكادر الطبي الآسيوي أكثر حُنوا من عيون توغلنا في معرفتها وما عرفناها، عيونٌ أشعرتنا أنَ بعض الغرباء وطنٌ.. ومنفى!

حين عُدنا، احتضنتني برحابة الكون كُلّه، تسير وهي تتلقّط أجزائي تقبلها وتحتضنها وتُمرغ وجهها فيها.

إنها الصحوة، تتقاذفني وأخيها على كرة اسمها الفرح. «فهد»، قمرنا الذي يرشقني بأسئلة لا نهايات لها مُعللا إلحاحه بـ: «أنا أحب اسولف،أحب أعرف «! والذي لا ينفك يمارس متعته الأبدية في عمل المقالب وتُجميد الدماء في عروقي حتى إذا رأى انهياري اعترف بما يُخبأ وعلل صمته بـ: سر! سر! كيف أقول لك!.. ما صار سر هذا!!

كأنما أناديها: تعالي.

أو كأن «اتركيني» تحتاج إلى إعادة تعريف، فحين يضج عقلي بكثرة الأعمال وأتجه صوب وكري الخاص بفوضاي، تتشبث بأطراف ثوبي، بينما الوقت يسرقني من عبث الصغار،أكتم عصبيتي التي خلفها زمن لم يراعي للأنقياء حُرمة، أجز على أعصابي التي تفور،فترد بدلال:.. لأ... لأ.. لأ..أنا أحبك ماما.. شويه بس.. شويه

تتسارع خطواتي على الدرج وأقدامها تتراكض معي:

: وأنا أحبك حياتي.. بس ماما مرّه مشغولة.. اتركيني الآن

تمد شفتيها: لأ.. لأ.. ببوسك بس.

احتضنها وأقبّلها.. فتتراقص خطواتها حقول ياسمين وماء، وتمطر سمائي: ليتني أضمهما العمر كله، فلا تُدميهما الدنيا بأشواكها وبردها وخيباتها التي تنحت الروح، ليتني أغرسهما أكثر، في تربة لا تقبل زرعا لا يتنفس الحرية ولا يحترم الإنسان!

وحين نجتمع نحن الثلاثة،تضع إحدى ذراعيها على كتف أخيها والأخرى على كتفي، وكالرمح ترشقني بعباراتي التي نفحتها في أوردتهم: أرفعي راسك فوق،.. ماما صديقتي... الوطن.

يُدلي فهد بدلوه: أرفع راسك فوق،.. ماما صديقتي...الوطن.

أحتضنهم مرددة: إحنا.. إحنا... ؟

يرددا بصوت عال وهما يتضاحكان ويتسابقان في نطق الكلمات:... أصدقاااء... الوطططن.

هذه هي منار الأكثر تجذرا في النبض من كل شيء، والتي تترك بصماتها على كل شيء. وحيث «برسار»، السائق الهندي الحديث عهد بالغربة، يستقرأ ما حوله ببطء يكاد يُخرجني من هدوئي، فأنسحب داخلي فراراً من ضجيج السطح، متعبة من ملح أرغفة الحياة،وناجية من خديعة الصداقات الأبدة، والتي أجاهد ألا أألم بمُضيّها وذوبانها.حين تحتضننا الأزقة، تنظر نحو برسار وحيدا، نظراته ترف بالشرود في الضفاف البعيدة، تمد كفها الصغيرة تحتضن كفه وتسير به.

فمن عَلّم هذه الصغيرة الخرافية كل هذا الحب! مناري التي تُغطيني بعد أن تُقبّل كفي وجبيني إذا مرضت، والتي تُسارع لإحضار كوب ماء لو «غصّ» أخيها، تسقيه ثم تمسح آثار الماء التي تعلو شفتيه!

الآن،تناءت الربية وتداني اليقين،بلسم الروح كلما قُدت من دُبُر بمديّة الحميمين، مكتفية بحزن لا أظنني أبرأ منه، يَمضني على حين غرة،أمتطى معه وسادة النوم المُضطرب وأغيب،فحزني..لم يُعد يعنيني، ولازلت أحيا بعد طعنات القاتلين.. بغير ما أسماء.

عادت رائحة الفجر، صوت العصافير، نكهة نعناع.. ملأ الفضاء. انبسطت سمائي شمسُ صريحة وفرحُ خَفي. ما مضى من العمر لم يكن سوى رماد بددته الريح، ثمَّة وقت فلا وقت،أدرك الآن وأنا أستعيد بهجة الألوان في عينيهما، أن كل ما مضى... لم يكن سوى « بروفة « حياة.

سلام عبدالعزيز
كاتبة وروائية سعودية